حولـه ولم أجـد بـداً مـن اللحاق به. انبطحنا بجوار الجسد المسجى، كان وجهه شـاحبا ورأسـه فـى بركة من الدماء وذراعيه مفتوحتان على أقصى زاوية، اشتدت الـرماية عليـنا وشـعرت أننا التقمنا الطعم وسنشرب من نفس الكأس التى أسقيناه لهم أول يوم، فقلت لـ "أسد الله" يجب أن ننتظر حتى يأتى المجاهدون فأصر أن نحملـه، فقلـت له مـا أن نرفع رءوسنا حتى يحصدونا، ولكنه كان لا يبالى بشىء وقـال لى: سـوف أحملـه وحـدى وعليك أنت انتظار المجاهدين، وما كنت لأفعل ذلـك بطبـيعة الحـال، فوضـعنا السـلاح خلف الظهور وأمسك "أسد الله" بذراعيه وأمسـكت بقدمـيه وركضـنا بأسـرع مـا تسـمح بـه الظـروف وسـط طوفان الرصاص المـنهمر، ولم أصـدق أنـنا نجونـا، احتميـنا فـى البيوت المهدمة وما لبث أن جاء المجـاهدون مـع "أبـو أحمد" ومعهم نقالة وضعنا فيها الشهيد وحملناه إلى المركز. شـعر الجمـيع بالأسـف إلا "أسـد الله" كـأن شـيئاً لم يحـدث، وكان يتأمل وجه الشـهيد بعيون كلها غبطة بل ربما حسد، وردد كلمات بهذا المعنى: "بسم الله ما شـاء الله.. انظـر.. انظـر إلى وجهـه.. إنه يبتسم.. شم.. شم رائحة عمامته.. إنـها رائحـة المسـك.. إنـه يسـتحق.. ظـل يعـالج شهرين ثم جاء مرة أخرى.. إنه كان مصراً على الشهادة"، ـ وقبله عدة مرات كأنه يقبل شخصاً حياً وليس جثة.

لم يضع "عبد الرازق" وقتا إذ سرعان ما حملناه إلى مقابر قرية قريبة وفوجئت بـنحو سـتين عربـياً تجمعوا من كل مراكز قندهار ولا أدرى كيف فشا الخبر بهذه السـرعة، ومشـى خلف الشهيد عدد كبير ووصلنا المقابر وبدأ أهالى القرية يحفرون القبر وتمنيت من الله أن يدفن بغير مشاكل من محدودى الأفق ولكن هيهات، لقد بـدأ الاعـتراض والصياح حـتى عـلى طـريقة الحفر، وكما توقعت أراد الأفغان أن يصـلّوا علـيه واعـترض العـرب بشـدة، وكـان "عـبد الرازق" حكيماً كما كان يريد إرضـاء العرب فصرف الأفغان عن رأيهم ودفن الشهيد ولما يمضى على مجيئه نحو نصف يوم، جاء فى الليل ودفن فى منتصف النهار {*وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت*}.

لم تكن هذه هى نهاية قصة "أبو دجانة" فقد نقل الجواسيس للعدو أن تجمعاً كـبيرا من العرب فى هذه القرية يدفنون شهيداً لهم، وما أن انتهينا من الدفن ولم

نبرح المقابر بعد إذا بالمدافع الثقيلة تدك المقابر، حتى الموتى لم يسلموا من أذاهم، أسرعنا بالمغادرة ولكن القذائف كانت تلاحقنا فى الطريق وكأنهم يروننا رؤى العين، احتمينا فى دكان على طرف القرية، واشترينا من الرجل كميات كبيرة من الطعام والحلوى حتى كاد ينفد ما عنده، وفرح الرجل جدا وكلما هممنا بالانصراف رجانا أن ننتظر حتى يهدأ القصف، وكنا قد اخترنا أميراً للعرب أثناء الجنازة فأبديت له ملاحظة بأن من الخطأ تجمعنا فى مكان واحد، ولذلك انصرفنا على دفعات فى كل دفعة حوالى سبعة أفراد، وبمجرد مغادرة آخر مجموعة للدكان نزلت قذيفة فوقه مباشرة فدكته دكاً وقتل صاحب الدكان ولما يهنأ بما ربحه منا، كان من الواضح أن هناك جاسوسا يوجه مدفعية العدو لاسلكياً، وهذا هو التفسير الوحيد لما حدث.

عبد الله الرومى
يقتل أمير حزب الدعوة والجهاد

كان من عادة "عبد الرازق" أن ينتقم للشهداء، ففى المساء ونحن نستعد للنوم دخل غرفتنا وطلب من "أسد الله" أن يتبعه.. وجدناه قد أعد صاروخ ١٢٢ وحمله "أسد الله" وسار خلف "عبد الرازق" ولم ندر أين يذهبون.. بعد فترة دوى انفجار هائل ولما عادوا أخبرنا "أسد الله" أن "عبد الرازق" هذا رجل لم تلده ولادة، لقد تسللوا إلى داخل مواقع الشيوعيين ووضعوا الصاروخ أمام غرفة مبيت الضباط وفجروهم، وعندما سألت "أسد الله" عن دقة إصابة الهدف غرق فى الضحك وقال لقد كان بين الصاروخ وبين باب الغرفة بضعة أمتار.

كان قد جاء مع "أبو دجانة" مجاهد مصرى هو "عبد الله الرومى"، كنت أنوى أن أتجاهله فى هذه المذكرات لأنه لم يفعل شيئاً ذى بال ولأنه كان شخصية مهزوزة ولم يطل به المقام بالمركز، ولكنى سمعت مؤخراً وبعد أن تركت ساحة الجهاد أنه أقدم على شىء بشع جعل من واجبى أن أذكر ما أعرفه عنه لله وللتاريخ، لقد أقدم "عبد الله الرومى" على قتل الشيخ "جميل الرحمن" أمير

حـزب الدعـوة والجهـاد (وهـو الحـزب السـلفى الوحيد فى "أفغانستان") بثلاث رصاصات ثم قتل نفسه بالرابعة.

كان "الرومى" قصير القامة أمرد اللحية تقريباً نحيل الجسم عصبى المزاج،كان يعمـل مراسـلاً لمجلة "الجهاد" العربية التابعة للشيخ "عبد الله عزام". لم يخبرنا بذلـك عـندما أتـى للمركز بل لم يظهر الكاميرا خوفاً من اعتراض السلفيين العرب عـلى التصـوير فلمـته عـلى ذلـك وقلت له ليس هناك إجماع على تحريم التصوير الفوتوغـرافى ولـو كنـت مكانـه لأظهرت الكاميرا ولما اهتممت باعتراض المعترضين وأوضحت له مذهبى فى أن التصوير المنهى عنه ليس هو الفوتوغرافى لأنه لم يكن عـلى عهـد الرسـول، فالمقصـود مـن الأحاديـث هـو تحريم التصوير باليد لأن فيه مضـاهاة القـدرة الإلهـية وادعاء إبداع بينما الله هو المبدع البارئ، أما الفوتوغرافيا فهـى حـبس ظـل كمـن ينظر فى المرآة والصورة الناتجة هى خلق الله ولا يستطيع ملـتقطها أن يدعـى أنـه هـو الذى خلق هذه الصورة، المهم أنه أبدى سروراً عظيماً بـرأيى هـذا وانطلـق ينـتقد عـلماء السـلفية الذين يحرمون التصوير وتمادى وتملكه الحـنق الشـديد حـتى أن كـلماته أثارت غضب "أسد الله" لما فيها من تهجم على العـلماء فنهره بشدة وكاد يبطش به لولا أن تدخلنا وأنقذناه من براثنه ، وكما هى عـادة "أسد الله" ندم على تسرعه فذهب واعتذر له بكلمات رقيقة ولكنه حذره من العودة لمثلها.

والـذى أستخلصـه مـن تتـبعى لشخصـية "الـرومى" فى هذه الفترة أنه انفعالى عـاطفى متعصـب لـرأيه ولديه قدرة هائلة على الحقد، كما أنه يستطيع أن يمتص غضـبه ويبـتلع أيـة إهانـة فى لحظات كأن شيئاً لم يحدث، ظاهرياً على الأقل، كمـا أنه لم يكن شجاعاً بل كان مهتز الأعصاب بدرجة كبيرة حتى إنه لم يحتمل رؤيـة الجـرحى والقتـلى فـرحل عـن المركز قبل أن يصيبه شىء من ذلك وإن كان ليس من العار الفرار من إمارة "عبد الرازق".

كـان مـن الواضـح أنه يكره السعوديين بصفة عامة حكومةً وأفراداً ومذهباً (إذا اعتـبرنا عدم التمذهب مذهباً)، وكان من الواضح أنه ينتمى للإخوان المسلمين وإن كنت متأكداً أنه انتماء فكرى فحسب، لأن الإخوان ينتقون أعضاء جماعتهم انتقاء

دقيقاً لا يسمح لمثل هذه الشخصية الغامضة المهتزة أن يكون عضوا منظما بها، وليس عمله فى مجلة الجهاد دليلاً على ذلك لأن الشيخ "عزام" كان يستعين بمن يستطيع مهما كان انتماؤه أو أفكاره.

وقابلت "الرومى" مرة أخرى فى "بيشاور" بعد تصفية مركز "عبد الرازق"، وقد ألّح علىَ أن أكتب له عن شهداء المركز ففعلت وقدمها للنشر، وكان محاسبا وقتئذ بالصفراء ولاحظت أن عينيه صفراء بالفعل ونشاطه محدود، وربما كان لهذا المرض علاقة باضطراب أعصابه، والأطباء هم خير من يفتى فى هذا الأمر.

وقد جعلنى أشك أنه يتعامل مع المخابرات وذلك بسبب تناقض أحواله وأسئلته المريبة وتصرفاته الغريبة ، وبالطبع طردت هذه الخواطر بسرعة على أساس القاعدة العظيمة (إن بعض الظن إثم)، وقابلته مرة أخرى عندما اعتزمت الحج وكنت أسعى لأنهى إجراءات سفرى وأهمها وأخطرها هو خطاب من السفارة المصرية ترجو من السفارة السعودية منحى تأشيرة للحج، وكان معنى حصولى على هذا الخطاب هو تسجيلى فى السفارة، وبالطبع يتم إدراجى فى القائمة السوداء لأن أى مصرى فى "باكستان" هو فى نظر السلطات المصرية إما إرهابى وإما تاجر مخدرات، كان عدد كبير من المصريين يُزور هذا الخطاب وخاصة أن الباكستانيين هم أساتذة التزوير ولا يستعصى عليهم ختم من الأختام، حتى قيل إن الحكومة السعودية تشك فى التأشيرات الصحيحة ولا تشك فى المزورة، المهم كنا نقيم فى الاستراحة الخاصة بالاتحاد (سياف) فى "إسلام آباد" حتى ننهى الإجراءات وكان "الرومى" مقيماً فى استراحة الشيخ "جميل الرحمن"!! وكان يتردد علينا من حين لآخر على أنه هو أيضاً يريد الحج ويسير فى الإجراءات، وفى هذه الفترة أيقنت أنه يتعامل مع المخابرات حيث كان يتلهف على معرفة أسماء من حصلوا على خطابات مزورة، كنت قد أخبرته أنى سأحصل على خطاب مزور ولكنى ذهبت إلى السفارة وسجلت نفسى وحصلت على خطاب صحيح، وكاد يهلك نفسه إلحاحاً ليعرف ممن حصلت على الخطاب الذى يظنه مزوراً، وبعد أن أمضى نحو شهرين يتسكع فى "إسلام آباد" ليعرف

من يقوم بتزوير ختم السفارة المصرية بحجة أنه يريد الحج، ومع ذلك لم يذهب للحج رغم سهولة الإجراءات.

وحدث شيء غريب أيد شكوكى، إذ كان كعادته يجادل أحد السعوديين فى بعض الأمور الدينية ثم فجأة وقد اندمج فى الجدال تبدل حاله فبعد أن كان يتعتع ويتلعثم ويتكلم بكلام فيه من الخلط شيء كثير، إذا به يتكلم بقوة ومنطق وهب واقفاً فى حزم ورأيته لدهشتى قوى البنية على غير ما يبدو عادةً بل رأيته أطول مما كان يخيل إلىّ، ثم كأنه تدارك نفسه فعاد لتلعثمه ووضع الباكولى على رأسه كالمعتاد بطريقة مزرية وعاد شكله كما كان تقتحمه العين وتزدريه، وتأملت الباكولى الذى يرتديه، لماذا يصر على هذا الباكولى الواسع جداً ـ ضعف حجمه الطبيعى ـ مما يعطيه مظهراً ساذجاً بل مضحكاً، ثم تأملت ملابسه، لا يمكن لشاب تخرج من الجامعة أن يرتدى ملابس غير متناسقة إلى هذا الحد المضحك إلا إذا كان يتعمد أن يبدو فى هذه الصورة الساذجة.

وبلغ من يقينى بكونه "مخابرات" أنى كلمته محذراً إياه بلهجة بين الجد والهزل: إنى إذا سافرت إلى مصر وقبض علىّ فسأعلم أن ذلك بسببك لأنك الوحيد الذى يعرف اسمى الحقيقى، ولم يعلق أدنى تعليق على كلامى وكأنى لم أقل شيئاً.

وقدر لى أن أقابله مرة أخرى عندما أصبت ورقدت فى مستشفى "أفغان سرجيكل" ثم "الهلال الأحمر" الكويتى حيث جاءنى وطلب منى أن أكتب له عن الشهداء العرب فى المعركة التى أصبت فيها، وكنت فى حالة لا تسمح بالكتابة ولا بالتركيز، ولكنه ألح علىّ ثم زارنى عدة مرات لنفس الغرض وطلبت منه بعض الكتب والمجلات فأحضر لى عدداً كبيراً منها، فشكرت له ذلك وندمت على شكوكى السابقة ولكن سرعان ما ردنى إلى تلك الشكوك.

كان فى زيارتى يوماً ثم أخذ الكتب التى قرأتها وانصرف، وما إن مضى حتى جاء لزيارتى اثنان من المجاهدين الليبيين كانا معى فى "قندهار"، وكان "عبد الله الرومى" يعرفهما بالطبع، كانا طوالاً عراضاً ذوى لحى هائلة، يوحى مظهرهما أنهما إرهابيان بل زعماء إرهاب، رغم أنهما مجاهدان عاديان طيبا

القلب وليس لهما انتماء لأى تنظيمات، ولكن "الرومى" خُدع بمظهرهما وبجنسيتهما الليبية وكأن كل ليبى إرهابى، فعاد سريعاً بعد أن انصرف وزعم أنه فقد كراسته ثم ذهب للحمام وعاد سريعاً وجلس على السرير المجاور لى وكان خالياً، وشاركنا فى بضع كلمات ثم رقد نائماً، وبالطبع لا يمكن لأى شخص أن ينام فجأة هكذا فى مكان غريب عليه ولم يكن الوقت متأخراً، لكنه ظن أننا سنتكلم فى أمور مهمة وسرية وأننا لن نشك أنه فى سبات عميق، وتندر أخوة "ليبيا" على سرعته فى النوم بينما عزمت على الكتابة لمجلة الجهاد أحذرهم منه، ما أن همّ الليبيان بالانصراف حتى صحا من نومه وانصرف معهم، وظللت بضعة أيام متردداً هل أكتب للمجلة أم لا ثم انصرفت عن ذلك على أساس أن الفتنة أشد من القتل وإن بعض الظن إثم، وإن كان بعضه أيضاً من حسن الفطن.

ونسيت الأمر تماماً حتى فوجئت بالخبر فى مجلة المسلمون ("عبد الله الرومى" يقتل الشيخ "جميل الرحمن" بثلاث رصاصات فى رأسه وينتحر بالرابعة)، دهشت لأقصى درجة.. "الرومى" الذى تبول فى سرواله عندما رأى "أبو مالك" ويده مقطوعة يجرؤ على الانتحار؟!.. كيف حدث هذا؟! يبدو أن الإقدام على الموت ليس دائماً دليلاً على الشجاعة، بقى أن أذكر أن "الرومى" كان من مدينة "الإسكندرية" وخريج كلية الحقوق أو هكذا أخبرنى، وقد اجتهدت فى نقل صورته بصدق وأمانة كما رأيته وحسبما شعرت نحوه، ولا أدرى على وجه اليقين هل كان إنساناً مضطرب الأعصاب أم كان عميل مخابرات أم الاثنين معاً؟، ولم آسف على شىء أسفى على انتحاره فالمنتحر خالد فى جهنم، لقد كان يعرف ذلك بلا شك فلماذا أقدم على الانتحار!!، الأرجح لدى أن حرس الشيخ جميل عاجلوه بالطلقات، وإنما القول بانتحاره هو مجرد قول لغلق باب الفتنة.

لا أملك سوى أن أدعو الله أن يغفر له ويرحمه وعسى أن يكون فعل هذا تحت تأثير اضطراب عقلى ونفسى يعفيه من المسئولية أمام الله، وأنا على ثقة تامة أن مكتب الخدمات ومجلة الجهاد والإخوان المسلمين ليس لهم أى علاقة بهذه الفعلة الحمقاء، وأخذت أفكر فى الفتنة التى سوف تسببها هذه الجريمة، فسوف تسوء العلاقة بين السلفيين والإخوان المسلمين وبين المصريين والسعوديين

وبين الأفغان والعرب، ورغم الخلاف الشديد بين الأفغان الأحناف ومواطنيهم السلفيين، ورغم أن أغلب الأفغان يتمنى أن يقتل الشيخ "جميل" إلا أنهم سوف يغضبون لأن قتله كان بيد عربى، وسوف يفقد العرب حب وولاء الأفغان حتى السلفيين منهم سوف يبغضون العرب بعد أن كانوا يحبونهم أكثر مما يحبون أنفسهم وأولادهم، وسوف تتوتر العلاقة بين الحزب الإسلامى (حكمتيار) وبين حزب الدعوة والجهاد (جميل الرحمن)، وربما أدى الأمر إلى قتال بينهما خاصةً فى ولاية "كونر"، يأله من حجر قد يضرب سبعين عصفوراً فى رمية واحدة.

الصّديق السكندرى

انضم إلينا فى مركز "عبد الرازق" مجاهد مصرى آخر، كان صديقاً بمعنى الكلمة، لم أر فى حياتى أطهر منه قلباً ولا أعف منه لساناً ولا أصفى منه نفساً، إنه "عبد الرحمن" المصرى، وهو سكندرى كذلك، كان طالباً فى كلية الهندسة وترك الدراسة قبل التخرج بعام واحد، كان طويلاً عريض الأكتاف يميل للشقرة عريض الجبين بهى الطلعة، وتنضح عيناه بالتقوى والطيبة، كان حافظاً لكتاب الله وإن كان يعترض على هذا اللفظ بشدة إذ يعتبر أن الله حافظ كتابه الكريم {*إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون*}، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب بتمكن عجيب حتى أنه يعرف رقم كل آية والآيات التى تشبهها فى المعنى أو فى أحد الألفاظ، بل يعرف الآيات السابقة كما يعرف اللاحقة، والمدهش حقاً أنه كان ضعيف الذاكرة لدرجة يرثى لها، فربما ناولنى الشىء وبعد دقيقة واحدة يبحث عنه متحيرا، كانت ذاكرته فى كل شىء تكاد تكون صفراً إلا فيما يخص القرآن فسبحان المعطى الكريم، لم يكن يكتفى بحفظ القرآن بل كان يحفظ تفسير كل آية فإذا سألته عن أى كلمة أو آية قال لك إن القرطبى قال فيها كذا والطبرى قال كذا... إلخ، كان يرتل القرآن فى كل لحظة حتى أثناء نومه، وكان هو بالطبع إمامنا فى الصلاة، ولم يكن الأفغان يطيقون الصلاة خلفه فكثيراً ما ينسى نفسه فيتلو جزءا أو جزأين فى الصلاة الواحدة.

وبالطبع لم يولد صديقاً هكذا بل نشأ شاباً عادياً فى أسرة عادية ولكن أتته صحوة روحية طالما تأتى للشباب الذى يتطلع دائماً إلى المثل العليا، فمرحلة